الدرس: 82

الأستاذ: الشيخ محمد تقى الشهيدي

المبحث: الظهور

التاريخ: السبت 18 شوال المكرم 1445 ه.ق

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين و صلى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين ولعنة الله على اعدائهم اجمعين

فى حجية الظواهر

كان الكلام فى حجية ظواهر الكتاب، فقد منع عنها جماعة من الاخباريين إما لمنعهم من الصغرى أى من انعقاد الظهور فى القرآن الكريم أو لمنعهم عن الكبرى. و المنع عن الكبرى أى حجية الظهور الكتابى لوجهين:

الوجه الاول: ان اتباع ظهور الكتاب من اتباع المتشابه بعد أن لم يكن اتباعا للمحكم. و قد منع سبحانه و تعالى عن اتباع المتشابه.

السيد الخوئى قال: المتشابه هو الكلام المجمل، و الظاهر ليس متشابها. لأن معنى الظاهر لا يشبه المعنى الذى يكون مخالفا للظاهر.

فأورد عليه فى البحوث تبعا للسيد الطباطبائى، فقال: المتشابه بمعنى المجمل ليس فى القرآن الكريم، فإن القرآن كله بيان و نور و تبيان لكل شىء. و المراد من المتشابه، المتشابه المصداقى، يعنى ما يكون معناه واضحا لكن مصداقه الصحيح خفىّ على الناس.

نحن قلنا بأن المتشابه يعنى الكلام الذى لا يكون المراد الواقعى منه بيّنا، سواء كان الكلام مجملا أو كان مشعرا بمعنى ليس مرادا واقعيا لله سبحانه و تعالى. أو يكون ظاهرا فى معنى و لكن ذلک المعنى ليس مرادا واقعيا له سبحانه و تعالى. و اهل الزيغ يتبعون ذاک الظاهر و يغمضون عيونهم عن القرائن الحالية العقليه و العقلائية أو القرائن المنفصلة الذى يجب الرجوع اليها فى العمل بالظهورات.

و اما ما ذكره السيد الطباطبائى من أن قوله تعالى "منه آيات محكمات هن ام الكتاب و اخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما

تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله و ما يعلم تأويله الا الله"، يقول فى تفسير الميزان: قوله "والراسخون فى العلم" جملة مستأنفة، يصير هكذا: و الراسخون فى العلم يقولون كل من عند ربنا. فالآية تقول لا يعلم تأويل المتشابه الا الله سبحانه و تعالى، و الراسخون فى العلم يقولون كل من عند ربنا. و هذا لا ينافى دلالة دليل آخر على أن بعض الراسخين فى العلم و هم النبى و الائمة عليهم السلام يعلمون تأويل القرآن أى واقع القرآن، لقوله تعالى: إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون أى الانبياء و الائمة عليهم السلام.

هذا غير صحيح. فإنه ورد فى الرواية المعتبرة: نحن الراسخون فى العلم و نحن تأويله. و هذا يعنى أن جملة الراسخون فى العلم معطوفة على الله سبحانه و تعالى، و لا يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم، و الراسخون فى العلم يقولون كل من عند ربنا. هذا هو المطلب الاول.

المطلب الثانى: إن ما ذكره فى البحوث وفاقا للسيد الطباطبائى من أن المتشابه هو المتشابه المصداقى، هذا لا معنى له. الا ترى أن من يقول كنت اليوم عند العالم، و المخاطب لا يعرف مصداق العالم الذى كان عنده، فهل ترى أن هذا الخطاب يصير متشابها لأن مصداقه مجهول؟ أو قوله تعالى "و جاء رجل من اقصى المدينة يسعى" نحن لا نعلم من هو

ذلک الرجل، هذا یکون کلاما متشابها؟ هذا لیس صحیحا. ظاهر الکلام المتشابه هو المتشابه المفهومی. و قد یکون خفاء المصداق بحد یؤدی الی خفاء المفهوم. و جاء ربک و الملک صفا صفا، مصداق المجیء حیث یکون ظاهرا فی الجیئة بالاقدام و هذا لا یناسب شأن الله سبحانه و تعالی فهذا یؤدی الی الاجمال فی المفهوم، العرف یقول اذن لا نفهم معنی الآیة.

المطلب الثالث: الظاهر من تأویل الشیء بیان واقعه الذی لا یکون الشیء ظاهرا فیه. الواقع الذی لا یکون ظاهرا من شیء یکون بیان ذلک الواقع تأویلا. تأویل الکلام یعنی بیان المراد الواقعی منه إذا لم یکن بیّنا من الکلام. و هکذا تأویل العمل هو بیان واقعه الذی لا یظهر من العمل.

یقول سیدنا خضر لموسی علیه السلام: ذلک تأویل ما لم تستطع علیه صبرا، یعنی هذا بیان الواقع لعملی الذی کنت لا تعلم به.

أو قول یوسف لیعقوب علیه السلام: ذلک تأویل رؤیای من قبل قد جعلها ربی حقا. یعنی هذا حینما انت جئت مع امّی یعنی مع امرأة هی زوجة أبیه و مع اخوتی و سجدتم لی، ذلک تأویل رؤیای من قبل. "إنی

رأيت احد عشر كوكبا و الشمس و القمر رأيتهم لى ساجدين"، "ذلک تأويل رؤياى من قبل"، يعنى واقع تلک الرؤيا هو هذا، و لكن هذا الواقع لم يكن يتبين من تلک الرؤيا. فالواقع الذى يحكى عنه القرآن من دون أن يكون ظاهرا فيه يكون تأويل القرآن.

المطلب الرابع: إن كلمات السيد الطباطبائى لا يخلو من تهافت. فإنه تارة يقول: يمكن رفع تشابه متشابهات القرآن بالارجاع الى المحكمات من القرآن، و هذا يعنى عامة الناس يتمكنون من معرفة تأويل المتشابهات بإرجاعها الى المحكمات. لكن يقول فى نفس الوقت: إن قوله تعالى "والراسخون فى العلم" جملة مستأنفة و علم تأويل المتشابه مختص به تعالى، و بعض الراسخين فى العلم دل الدليل الآخر على أنهم يعرفون تأويل المتشابه. أنت قلت القرآن تبيان لكل شىء فيكف لا يكون تبيانا لنفسه و يعرف معنى المتشابهات بإرجاعها الى المحكمات، هذان الكلامان متهافتان.

المطلب الخامس: ما ذكره من أن لكل القرآن تأويلا لمحكمه و متشابهه، ما هو دليله على ذلک؟ يستند الى قوله تعالى "ما كان هذا القرآن أن يفترى... بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه و لما يأتهم تأويله"، أو قوله تعالى "و لقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى و رحمة

لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله، يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق"، فيقول السيد الطباطبائى هذا يدل على أن لتمام القرآن تأويلا. من أين ذلک؟! يكفى فى نسبة التأويل الى القرآن ثبوت التأويل لكل ما يحتاج الى التأويل من القرآن، لا أن لكل آية آية قرآنية تأويلا.

و ما يقول من أن الواقع الذى يحكى عنه القرآن هو تأويل القرآن و هو حقيقة عينية فى اللوح المحفوظ، أى شاهد على ذلک؟

يا مولانا! تأويل قصص القرآن افرض الواقع التاريخى الذى حدث قبل آلاف سنين، أين هذا من اللوح المحفوظ. فقتل قابيل هابيل، واقع هذه الآية وقوع هذه الجريمة الكبرى اول جريمة حدثت فى تاريخ البشر، أين هذا من اللوح المحفوظ؟!

فإذا أنت تقول المتشابه هو ما كان مصداقه متشابها و له تأويل، ثم تدعى أن لمحكم القرآن أيضا تأويلا لا يعلم، فإذن صار كل القرآن متشابها. شنو هذا التفسير؟ المتشابه ما كان تأويله مجهولا، و تقول تأويل القرآن كله مجهول سواء تأويل محكمه أو متشابهه، فإذن كل القرآن صار متشابها، لأنک تفسر المتشابه بالمتشابه المصداقى أى

المتشابه فی التأویل و المصداق الذی یحکی عنه، و أنت تقول لکل القرآن تأویل لمحکمه أو لمتشابهه، فإذن کل القرآن صار متشابها، هل تلتزم بذلک؟

المطلب السادس و الاخیر: انتم تقولون لا یوجد کلام مجمل فی القرآن الکریم لأنه لا یتناسب ذلک مع فصاحة القرآن، و ما ورد من ان القرآن بیان للناس و بلسان عربی مبین، هذا خلاف الوجدان. نجد فی القرآن آیات کثیرة لا یتیسر فهمها لعامة الناس. افرض ان الخواص من دون استعانة من اهل البیت علیهم السلام ألّفوا کتاب التفسیر أو کتب حول آیات القرآن، فهذا یعنی أن هذا القرآن بلسان عربی مبین و بیان للناس؟ الذی لا یفهمه الا الخواص، هذا بیان واضح للناس؟!

القرآن بیان للناس یکفی فیه أن یکون ما یدعو الیه من قیم انسانیة و مبادئ اخلاقیة و التوحید و النبوة و المعاد، امور واضحة، هذا یکفی أن یکون بیانا للناس. لا یلزم أن لا یوجد فی القران آیات معقّدة. و الا فلماذا کتب السید المرتضی کتاب «تنزیه الانبیاء» لتوجیه الآیات التی توهم نسبة المعصیة الی الانبیاء علیهم السلام کقوله تعالی "فعصی آدم ربه فغوی" و هکذا ما ورد فی حق موسی "إنی ظلمت نفسی" أو غیر موسی علیه السلام من بقیة الانبیاء، أو "و ذاالنون إذ ذهب مغاضبا فظن

أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانک إنى كنت من الظالمين". و كيف نفسر قوله تعالى "إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون"، كيف نقول كل الكافرين لا يؤثر الإنذار فى حقهم؟ الا أن نؤول الآية بنحو و آخر.

و يا ترى هل تفهمون من هذه الآية من دون رجوع الى اهل البيت عليهم السلام معنى واضحا؟ حيث قال تعالى "إنا عرضنا الأمانة على السماوات و الارض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا"، شنو معنى التشابه المصداقى؟ اصلا لا نعرف معنى الامانة التى عرضت على السموات و الارض و الجبال، و لا نعرف معنى إبائهن عن حمل تلک الامانة الا بتفسير اهل البيت عليهم السلام. و هكذا قوله تعالى "و ما تشائون الا أن يشاء الله" هذا يوهم الجبر. كل ما تريد شيئا فهذا بارادته تعالى، الله سبحانه و تعالى أراد أن تريد هذا الشىء. هذا هو الجبر. غير أن نأول الآية بشكل و آخر. كما ورد فى الرواية أن القرآن نزل بنحو التعمية يُخفى الحقائق عن اعين الناس أحيانا. و لأجل ذلک اميرالمؤمنين عليه السلام على ما فى نهج البلاغة قال لابن عباس حينما ارسله للمحاورة مع الخوارج، قال: لا تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن حمال ذو وجه تقول و يقولون، ولكن

خاصمهم بالسنة فإنهم لن يجدوا عنها محيصا. نعم القرآن بمجموعه معجز بلا اشكال، بمجموعه بيان للناس و هدى للناس، و لكن فى نفس الوقت توجد فيها آيات موهمة أو ظاهرة فى امور دل الدليل على كونها مخالفة للواقع. و لأجل ذلک يقول سبحانه وتعالى "وننزل من القرآن ما هو شفاء و رحمة للمؤمنين و لا يزيد الظالمين الا خسارا" لا يعنى أن الظالم لا يستفيد من القرآن. لا، يستقل آيات القرآن و يقع فى الضلال و الخسران.

فإذن المحصل من الاشكال على استدلال الاخباريين بهذه الآية على عدم حجية ظهور الكتاب: أن اتباع المتشابه هو حمل كلام مشعر بمعنى على خلاف المراد الواقعى منه. و الا لا يكون ذلک زيغا. "اما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه". أو اتباع ظاهر القرآن، و لكن ظهور لا يطابق الواقع، فإنهم يغمضون اعينهم عن القرائن و يحملون الكلام على ظاهره الاولى. هذا هو اتباع المتشابه. و اما العمل بالظهور بعد الفحص و رعاية القرائن الحالية العقلية و العقلائية أو القرائن النقلية المتصلة أو المنفصلة هذا ليس منهيا عنه.

و بقية الكلام فى الليلة القادمة إن شاءالله.

والحمد لله رب العالمين.